المُواطن العَربيّ

بين استراتيجية الأدب وتكتيك الاعلام

نزيه أبو نضال

أود بدايةً ان اسجل اختلافي مع العنوان، لما يشتمله من اشكالات وتناقضات لا بد من ازالتها قبل الدخول في الموضوع.

يبدو واضحا من العنوان ان تعبير (استراتيجية الادب) يقع في الطرف المقابل لتعبير (تكتيك اعلام). يتعاطى احدهما بالقضايا الكلية والشمولية، ويتعاطى الاخر بالمسائل الجزئية الراهنية.

غير ان التحديد العلمي لمفهومي التكتيك والاستراتيجية ينطلق من وجود تكامل بين المفهومين في اطار علاقة جدلية، فليست هناك استراتيجية بدون تكتيك يوصل اليها كما انه ليس هناك تكتيك بدون استراتيجية تضبطه وتحدده.

وبالتأكيد فإن عنوان البحث لا يؤشر الى أن تكتيك الاعلام هو جزء من استراتيجية الادب.

وهنا يبرز الاشكال فهل هناك ادب تكتيكي ما دمنا نتحدث عن استراتيجية الأدب؟ لا نعتقد ذلك. غير أننا في المقابل نستطيع الحديث عن استراتيجية اعلامية وتكتيك اعلامي مرتبط بها الا ان ذلك ليس موضوعنا وليس هو المقصود من العنوان على كل حال.

من هنا وجدنا ان نختار لهذا المحور عنوانا جديدا هو:

(المواطن العربي بين دور الادب ودور الإعلام)

يرتبط موضوعنا بثلاثة عناصر او حدود هي: الادب والإعلام ثم انعكاسها على المواطن على مستوى الشكل والنوع فالأدب هو الشعر والرواية والقصة والمسرحية الخ..

اما الاعلام فهو الصحافة اليومية والاسبوعية والاذاعة والتلفزيون الخ..

غير ان الحد الثالث وهو المواطن العربي ترك بلا تحديد رغم ان نسبة كبيرة من الامة العربية لا تكاد بفعل واقع الجهل والامية تتعامل مع الادب وتتلقى فقط التأثيرات الاعلامية.. مما يقلص الى حد كبير من دور الادب هذا اذا افترضنا انه قد تجاوز حواجز الرقابة الممتدة من المحيط الى الخليج.

ان أول ما يلفت الانتباه عند النظر الى الادب والاعلام في الوطن العربي ان السمة الرئيسية التي تميز الادب هي طابعه العروبي القومي.. ذلك ان هواجس الاديب وهمومه وطموحاته تتجاوز ما هو جزئي وآني ومحلي باتجاه رؤيا شمولية تاريخية رحبة، حتى ولو كان الموضوع الادبي يتناول هذا الجانب المحلي او ذاك.

من هنا نجد المواطن العربي يتفاعل مع روايات نجيب محفوظ، وحنا مينة والطاهر وطار وغسان كنفاني، كما يتفاعل مع قصائد السياب ودوريش وعبد الصبور وكاتب ياسين، ومسرحيات سعد الله ونوس وألفرد فرج ومحمود دياب. المواطن العربي يشعر ان هذا الادب يعبر عنه وموجه اليه فتكتمل دورة الاتصال والتفاعل. في المقابل نجد ان الاعلام مسكون بهاجس آخر يكاد يقتصر على الدفاع عما هو راهن سواء كان هذا الراهن أنظمة أو سياسات أو أيديولوجيات.

وهذا الراهن في ظل واقع التجزئة العربية وهو الاقليمية في مواجهة الاقليميات الاخرى الا ترون كيف اصطنع كل اقليم لنفسه حضارة تاريخية خاصة لها تراثها المتميز منذ آدم أو من عصر القرود.

فهذا فينيقي وذاك كنعاني وهؤلاء أشوريون أو سوموريون أو أنباط أو فراعنة. ومن لم يجد لنفسه تاريخا قديما يستقرب ما يتوفر من تاريخ قريب فيصطنع لنفسه أمجادا وبطولات خاصة بهذا القطر أو ذاك.

بل حتى الاعلام الوحدوي بات ينظر اليه في ظل هذا الواقع باعتباره شكلا من أشكال التوسيع والهيمنة على المنطقة الاقليمية المحيطة به.

المواطن العربي ما عاد يتفاعل مع هذه الدعوات الوحدوية لأن هذا الاعلام لا يكف طوال ساعات النهار والليل عن تقديس سلطته وسلطانه، ولا يكف عن التفاخر بانجازاته، وتاريخه الخاص، وشعبه الخاص، وبفريق كرة قدمه الذي لا يغلب، لولا الحظ، وتلاعب الحكام لصالح فريق كرة القدم العربي الآخر.

فكيف لا تتكرس التجزئة الاقليمية في ظل هذا الحقن الاعلامي اليومي؟

وكيف لا تتحول الوحدة القومية الى ذكرى يغطيها غبار الاعلام؟

يتصل بالطابع القومي للأدب طابع بالغ الأهمية وهو أن الأدب

مسكون بهاجس التغيير والحركة أو هو يعبر بالضرورة عنها ويؤشر عليها.

ان الشعر في جوهره هو رؤيا وبشارة وفعل تحريض في الوجدان والعقل، من أجل ان يتغير الانسان ويغير باتجاه الغد الأجمل. الشعر هو مغناطيس المستقبل الذي يشد الروح نحوه بعيدا عن اسر الواقع، ودائما الا الأمام.

والرواية هي عالم التفاصيل والاحداث والبشر، ولكن الروائي ليس الحكواتي الذي تستغرقه متعة الأحداث والمغامرات بل هو القادر على التقاط المفاصل النوعية ذات الدلالات التاريخية المتحركة، ان الرواية في جانب اساسي منها هي قصة تاريخ صراع الطبقات الاجتماعية، وانظروا الى روايات دستويفسكي العظيم الذي استغرقته تفاصيل النفس البشرية، كيف كانت تؤشر بوضوح تام الى سقوط مجتمع النبلاء القيصري وولادة المجتمع الجديد، وانظروا كذلك الى أعمال كل الروائيين العظام فستجدونها تعبر عن واقع الصراع الطبقي والحركة التاريخية لهذا الصراع.

وليس تولوستوي وبلزاك وديكنز وشتاينبك وماركيز ومحفوظ الا الرواة المبدعين لحركة التاريخ في مجتمعاتهم.. وحتى مورافيا فإنه المصور التاريخي لانحلال وسقوط البرجوازية الايطالية.

هذه الحركة التاريخية التي تشكل جوهر الرواية وتؤشر لآفاق التغيير الاجتماعي هي واحدة من السمات الاساسية في الادب.

وهذه السمة نجدها كذلك، وان بصورة مختلفة، في القصة القصيرة، القاص يلتقط اللحظة أو الجزء ويسلط عليها او عليه أكبر قدر من الضوء والايحاء فتتحول اللحظة الى دلالة والجزء الى رمز لما هو أعم وأشمل على المستويين التاريخي والاجتماعي... أي باتجاه الدعوة الى الحركة والتغيير.

والمسرح، هذا المزيج المبدع من الشعر والرواية، هو لعبة الانماط البشرية التي تتكشف من خلالها القيم الانسانية والاخلاقيات الاجتماعية، ثم كيف يحتدم الصراع بين هذه الانماط: الحق والباطل.. الخير والشر.. الجميل والقبيح.. الفقير والغني.. البسيط والخبيث.. الشجاع والجبان... القوي والضعيف.. الوطني والخائن.. الدعي والمتواضع... الاناني ومنكر الذات.... الجلاد والضحية.. المناضل واللامبالي.. الخ هذا الصراع بين الانماط هو فعل الحركة في الواقع. ودعوة حارة من اجل انتصار القيم الانسانية النبيلة: الحق الخير والجمال. هذه القيم التي لا تتحقق الا بالصراع الاجتماعي من أجل العدل والمساواة وحرية الانسان.

والادب بعد ذلك كله ورغم ذلك ليس دعوة مباشرة للتغيير، ولكنه بما يملكه من سمات ومواصفات له القدرة على الفعل والتغيير في الذهن والنفس. وهنا بالضبط يكمن دور الأدب.

ان ضرورة الأدب هي كالضرورة التي وصفها ارنست فيشر للفن فهو «لازم للانسان حتى يفهم العالم ويغيره... وهو لازم ايضا بسبب هذا السحر الكامن فيه». هذه الخاصية الحركية والتغييرية التي يتسم بها الأدب، وما يمثله من طابع قومي عروبي شكّل واحدة من أهم المرتكزات لوحدة وجدان الأمة ولوحدة وعيها وثقافتها كما شكل ولا يزال واحدة من أهم المرتكزات للمحافظة على وحدة الوجدان والوعي العربي والدفع به باتجاه التحقق العلمي اذا ما توافرت شروط وصول هذا الأدب الى المواطن العربي.

ان قائمة طويلة من الأدباء العرب على امتداد هذا القرن قد اسهمت في صياغة وحدتنا الوجدانية والثقافية، وهي التي جعلت ادباء العربية وكتابها يلتقون اليوم في الجزائر كما التقوا بالامس في اليمن، وقبل ذلك في دمشق وبغداد وغداً في الرباط والخرطوم.

ان أحدا منا لا يحتاج الى إعمال الفكر والذاكرة ليستكشف العديد من الاسماء والرموز الادبية التي شكلت وعينا المبكر وجعلتنا نلتف حول ابداعاتها ونتاجها الأدبي من مشرق الوطن العربي الى مغربه.

ان الطالب أو الدارس العربي في موريتانيا حين يحفظ قصيدة للبارودي أو لشوقي او لحافظ ابراهيم أو لخليل مطران لا يتصل فقط بوشائج عميقة مع مصر، ولكنه يتصل كذلك بطالب عربي يحفظ نفس القصيدة في الامارات أو عمان أو طرابلس.

أبو القاسم الشابي ليس صوتا تونسيا ولكنه أحد منشدي الأمة وشعرائها الذين نردد قصائدهم منذ عشرات السنين.

الزهاوي والرصافي واليازجي وأبو ماضي وبشارة الخوري وعمر أبو ريشة وأبو سلمى وابراهيم ناجي والجواهري والسياب وسليمان العيسى وعبد الصبور وأمل دنقل ومحمود درويش وسعدي يوسف وأدونيس ونزار قباني وغيرهم... ان هذه الاصوات هي التي تتربى عليها الاجيال العربية جيلا بعد جيل، ومع هؤلاء تمتد قائمة طويلة اخرى من الادباء والكتاب من طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني وتيمور ومحمد مندور واحسان عباس وجبران واميل حبيبي ويوسف ادريس وزكريا تامر وجمال الغيطاني ويوسف القعيد ويحيي يخلف وسهيل ادريس والربيعي والركيبي والعروي.

ان هذه الكوكبة الكبيرة من الادباء تطفو على سطح الذاكرة العربية عنوانا لوحدة الامة، وتعبيرا عن تعلقها المشترك بها، لانها صوتها وضميرها ونزوعها نحو هذه الوحدة.

وصلة الأمة بأدبائها هي كذلك الصيغة الراهنة لعملية تواصل تاريخي لم ينقطع فنحن نتوحد كذلك بالمتنبي وأبو تمام والبحتري والمعري، كما نتوحد بامرىء القيس وعنترة وطرفة وعمرو بن كلثوم والنابغة وأبي نواس والفرزدق وجرير وأبي العتاهية والاخطل وابن أبي ربيعة وأبي فراس الحمداني وابن زيدون وابن المقفع وابن خلدون والف ليلة وليلة والتغريبة وسيف بن ذي يزن والمهلهل... وغيرهم وغيرهم...

لماذا نحرص على ايراد كل هذه الاسماء المعاصرة والتاريخية؟ وما هي صلتها المباشرة بدور الادب والاعلام؟

للمقاربة من الجواب نقول ان وحدة الامة ينظر اليها في كثير من الاحيان من خلال ادبائها ورموزها الفكرية.

ألا تستدعي الامة الروسية الى الذاكرة اسماء تولوستوي ودستويفسكي وتورجنيف وبوشكين وتشيخوف وغوركي، كما

تستدعي الامة الفرنسية اسماء بلزاك وموباسان وهيجو وفولتير وروسو وسارتر وكامو وجان جانيه، أليست أسماء ديكنز وشكسبير وبرنار دشو وكولن ولسون استدعاء مباشر للأمة الانكليزية؟ ان هذه المقاربة لا تتصل فقط بذكر أسماء أدباء العربية لاستدعاء وجود الأمة في زمن التجزئة والتنظيرات الاقليمية ولكنها مدخل للإطلال على دور الأدب في صياغة الوحدة الوجدانية والثقافية تمهيدا لانجاز وحدتها السياسية.

وهنا تبرز أهمية الخاصية الحركية والتغييرية التي يتسم بها الأدب وانطلاقا من شموليته وطابعه القومي والتاريخي، باتجاه الوحدة والتقدم والاشتراكية.

اذا كان دور الأدب ينطلق من خاصية الحركة والتغيير، فان دور الاعلام العربي انما يتسم أساسا بخاصية الثبات والسعي الى تأييد وتكريس الواقع الراهن: واقع التجزئة والتخلف والاستقلال.

ان أجهزة الاعلام العربي وأدواته المباشرة وغير المباشرة، وبغضّ النظر عن القناعات الشخصية للعاملين في هذه الأجهزة الاعلامية، فانهم عمليا وموضوعيا مستخدمين في هذه الأجهزة المملوكة أساسا من قبل السلطة، سواء كانت هذه السلطة سياسية مباشرة كما هو الحال في الاذاعة والتلفزيون والصحافة المؤممة، أو كانت سلطة الممول والمعلن كما هو الحال بالنسبة لبعض الصحف والمجلات.

هذا الواقع الاستخدامي للعاملين في الحقل الاعلامي، وفي ظل أبسط المفاهيم الديمقراطية، تجعل مجرد استمرار الشخص في عمله الاعلامي مرهون بموقفه من هذه السلطة وبمدى قدرته على الدفاع عنها، وبمدى قدرته كذلك على مهاجمة خصومها سياسيا وفكريا.

ومثل هذا الدور المنوط بالاعلام العربي، وما وصل اليه من انحطاط في تأليه السلطان وبرشّ البخور على كل خطوة يقدم عليها أو على نقيضها، حوّل الإعلام العربي الى مجرد بوق أو دف، كما حول رجل الاعلام الى مفتي للسلطان قادر على تحريم وتحليل المواقف ونقيضها.

هذا النهج الاعلامي السائد يقود بالضرورة الى تكريس الواقع وتأييده والدفاع عنه في وجه أية عملية تغيير.

أما التغيير الوحيد الذي يدعو اليه هذا الاعلام فهو ذاك الذي يطالب الإعلام فقط بحدوثه خارج الحدود أي في الأقطار العربية الأخرى.

ولأن هذا الاعلام فقد مصداقيته أمام المواطن العربي، فان مثل هذه الدعوات لا تفعل أكثر من تكريس الاقليمية فما هو النموذج العربي القائم الذي يدفع مواطني الاقطار العربية الاخرى للاحتذاء به والاستعانة لدعاويه الاعلامية؟

ان الاعلام العربي السائد يفتقد الى أبسط شروط العمل الاعلامي الناجح في الوصول الى الناس والتأثير بهم باتجاه القضية أو الموقف الذي يتبناه الاعلام.

ولعل أبرز هذه الشروط ما يلي:

١ - الخطة:

ان اعلاما لا يقوم على أساس خطة اعلامية متكاملة لا يستطيع انجاز الاهداف المطلوبة منه في حشد القوى الداخلية حوله، وفي كسب الرأي العام الى جانب قضاياه.

وبديهي أن غياب الخطة الاعلامية انما هو انعكاس لغياب الخط السياسي المحدد والواضح. فالمواقف العربية لا يرسمها حزب أو نظام وانما يفرضها الزعيم أو السلطان وهذه المواقف معرضة بسبب ذلك الى التغيير بسبب انقلاب المزاج أو انقلاب التحالفات.

فالاعلام اليوم يتبنى هذه القضية، ولا يلبث أن يتخلى عنها غدا، وهو يهاجم النظام (س) متهما اياه بالعمالة ليقيم معه غدا مشروعا للوحدة. والولايات المتحدة في لحظة عدوة الشعوب وفي اللحظة التالية في الاحضان الخ.. ان العمل الاعلامي هو عملية بطيئة متكاملة ومنسجمة ومتواصلة واذا ما افتقد الى ذلك وراح يتخبط بين صعود وهبوط وينتقل من الموقف الى نقيضه فقد قدرته ودوره.

٢ - التغطية:

لا شك أن أول ما يشد المواطن الى الأجهزة الاعلامية هو من أجل الحصول على المعلومات الاخبارية.

الاعلام العربي في معظمه لا علاقة له بضرورة توفير التغطية الاخبارية لمواطنيه، فهو يمكن أن يتجاهل خبرا يحتل صدارة الاخبار في العالم أو هو يقزّمه الى أدنى حد، كما يمكنه أن يختلق خبرا لا أساس له أو يضخمه كما يشاء.

عند هذا الحد فإن المواطن يدير ببساطة مؤشر الراديو ليستمع الى الاخبار من أية اذاعة أخرى. وليقع بالتالي تحت تأثيرها ومخططها. أليست اذاعة مونت كارلو واذاعة لندن مسموعتين في الوطن العربي أكثر من أية اذاعة عربية لهذا السبب؟

٣ - الصدق:

الاعلام العربي يكذب على الدوام، ويكذب كما قال أحد الزملاء حتى في النشرة الجوية وأنباء الطقس.

ولأن الكذب حبله قصير فإن المواطن سرعان ما يكتشف الحقيقة ومع تكرار الكذب لا يلبث المواطن العربي ان ينصرف عن اجهزته الاعلامية بحثا عن مصادر أكثر ثقة وصدقا.

ان ثقة المواطن بصدق اعلامه شرط أساسي من شروط تواصله مع هذا الاعلام.

فمن منكم يسمي لي جهازا عربيا واحدا يحظى بثقة مواطنيه؟

٤ - المبادرة:

ان الاعلام يعتمد أساسا على المبادرة وسرعة التحرك في اطار الخطة الاعلامية ولكن عندما تغيب الخطة، وعندما يرتهن اي موقف اعلامي برأي الزعيم الأوحد، فإن المبادرة وسرعة التحرك الاعلامي تختفي لان صاحبها يفضل أن يلوذ بالصمت على مبادرة قد تكلفه عمله وربما ما هو أكثر.

٥ - التعددية:

في معظم الاقطار العربية هناك أكثر من صحيفة في كل قطر ولكنها جميعا ليست سوى نسخ كربون عن بعضها وعن وكالة الانباء الرسمية، وهي تتشابه الى حد الملل مع الاذاعة والتلفزيون. وهذه احدى مظاهر غياب الحياة الديمقراطية، وغياب المنابر الاعلامية المتعددة التي تجعل المواطن قادرا على محاكمة الرأي والرأي الآخر. مما تدفع هذا المواطن بالتالي الى البحث عن المنبر الآخر في غير مكان الرأي الواحد.

ان صورة الاعلام العربي الراهن تظهر لنا بوضوح اننا لا نمتلك اعلاما حقيقيا، ولكننا نمتلك اجهزة للدعاية والاعلان عن المعروضات السياسية، وآخر صرعات الموضة الايديولوجية وما توصل اليه هذا النظام او ذاك من منجزات في عالم الزراعة والصناعة التي لا تتم مباشرة العمل فيها الا بعد أن يفتتحها الزعيم او السلطان قاصا الشريط الحريري بيديه.. الكريمتين. حتى ان احد الظرفاء علق على هذا المشهد المتكرر في الاعلام العربي بقوله ان تكاليف افتتاح مشروع ما باتت تزيد عن تكاليف المشروع نفسه الا ترون الملك أو الرئيس) تحيط به حاشية كبيرة من الوزراء والمديرين والخبراء والسيارات من أجل قص شريط ثم ما يعقب ذلك من مآدب عامرة يقيمها المحافظ أو مدير الناحية على حساب خزينة الدولة؟

هذا الاعلام العربي هو وحده الذي يحظى بالرعاية الحقيقية وبالدعم اللامحدود، فتوضع في خدمته الاذاعات المتوسطة والطويلة والموجهة: وتقوّى له أجهزة البث والارسال التلفزيوني وترصد لصحفه ومجلاته أكبر الامكانيات والميزانيات وتوظف فيها أفضل الكفاءات وبأعلى الأجور.

ومن خلال هذه الامكانيات الهائلة، وفي ظل منظومة التضامن العربي سيئة الذكريات بامكان هذا الاعلام أن يعبر الحدود ويصل الى المواطن العربي في كل مكان، ليمارس عليه أسوأ التأثيرات. ذلك أن دور الاعلام والأجهزة الاعلامية يطال كذلك مختلف شؤون الثقافة والادب والفن، ولكن تناول هذه المجالات يتم بدوره من منظور الجهل الاعلامي والأمية الثقافية، والأغراض السياسية والايديولوجية ومن هنا لم يعد غريبا أن يتشوه ذوق المواطن بالأفلام والمسلسلات الهابطة والبرامج الرديئة والأغاني السطحية التافهة، وان يتراجع الاهتمام والوعي بكل ما هو عظيم وأصيل في حياتنا الفكرية والثقافية والفنية.

وقد أتيح لي كما أتيح لعدد من الزملاء الفرصة المباشرة للاطلال على حجم الانهيار الذريع في ثقافة المواطنين، وخاصة لدى الأجيال الطالعة حتى في الجامعات.

واذا كانت شهادة الست أم محمد التي قدمتها مجلة الطليعة المصرية، ولم تميز فيها بين الفلسطينيين والإسرائيليين تقدم عينة صارخة عن مستوى الأمية السياسية في الأوساط الشعبية بعد عشرين سنة من الثورة، فان شهادات أخرى قدمت من الاوساط الجامعية تكشف مستوى لا يصدق من الأمية الثقافية والسياسية، ففي مسابقة شاركت بها بنفسي للطلبة الجامعيين في بيروت فان احدا من المتسابقين والحضور وكان عددهم يربو على السبعين لم يعرف من هو «شي منه» أو «نجيب محفوظ» أو جيفارا أو الشيخ عز الدين القسام وغيرهم كثيرون من الرموز الثقافية والسياسية.

وفي استطلاع آخر اجراه الزميل ممدوح عدوان في جامعة دمشق تكررت نفس الظاهرة المأساة فلا أحد قد سمع بسيد درويش أو كتاب (الأيام) ولكن الجميع يعرفون ترافولتا وآخر صرعات الديسكو والاغنيات الهابطة.

ان ذلك كله هو بعض ثمار الثقافة السائدة التي ترعاها الأجهزة الاعلامية العربية وتعممها، وهي تشكل استمراراً لنهج متكامل يبدأ من البيت الى المدرسة الى الجامعة، وهذا موضوع آخر ليس هنا مكانه.

وقد يتساءل المرء لماذا يهتم الشباب اليوم بالديسكو ولا يهتمون بقضايا الوطن والفكر والثقافة.

إن الإجابة تمتد لتشمل حياتنا الراهنة بكاملها نهجا وأسلوبا وتربية ولكنني أعتقد أن الجذر الحقيقي لهذه الكارثة، انما يكمن أساسا بغياب الحريات والمنابر الديمقراطية التي تفسح امام المواطنين المجال للاطلاع والمعرفة والمقارنة، وحرية المشاركة في النشاطات السياسية والثقافية بعيدا عن كوابيس القمع والارهاب المباحثي والبوليسي، بعيدا عن أحادية التوجه الاعلامي والثقافي السائد. أي بعيدا عن القمع الاعلامي.

اذا كانت هذه هي صورة الاعلام الراهن، وبعض انعكاساته على المواطن العربي، فما هو واقع الأدب العربي؟

ان الأدب ليس كتابا في مطبعة أو على رف مكتبة ولكنه علاقة بين كاتب وقارىء... بين المبدع والجمهور.

فما هي حقيقة هذه العلاقة في واقعنا العربي.

ان أمة يزيد عدد سكانها على المائة والخمسين مليون نسمة ولا تطبع من دواوين أو روايات أو مسرحيات أفضل أدبائها أكثر من بضعة آلاف ولعل الرقم ثلاثة آلاف كما يعلم معظم الأدباء هو الأكثر تداولا لدى دور النشر. وهذا الرقم المتواضع قلما ينفد الا بعد مرور سنوات.

فما هي الأسباب الكامنة وراء مثل هذه الارقام المخجلة والمحزنة في ثقافتنا المعاصرة؟.

لاشك أن مجموعة كبيرة من المكونات والعوامل قد أدت الى مثل هذه النتيجة الفاجعة لعل من أبرزها:

١ - الأمية التعليمية

ان نسبة الأمية التعليمية في الوطن العربي تصل الى أرقام مخيفة، وهي تزيد في بعض الأقطار عن الـ ٧٥٪ وهؤلاء لا تربطهم بالكتاب المطبوع أية رابطة. ويضاف لهم أعداد كبيرة ممن تجاوز مرحلة الأمية دون أن يصل الى الكتاب وهؤلاء يصعب حصرهم.

٢ - الأمية الثقافية

وهذا النوع من الأمية يتصل بأساليب ومناهج التعليم وبالثقافة

الاعلامية السائدة التي تصرف اهتمام المواطنين باتجاه الانماط الاستهلاكية الهابطة في الفن والأدب والثقافة.

٣ - حواجز الرقابة العربية

ان عددا كبيرا من الكتب الهامة والجادة لا يمكن أن تخرج من حدود البلد الذي طبعت فيه بسبب قيود الرقابة التي تفرضها أجهزة المخابرات العربية هذا ما أتيح لها أصلا أن تطبع في بلدها نفسه. والى جانب هذه العوامل الأساسية هناك أسباب عديدة أخرى تتصل بالأدب نفسه وبمدى توصيله للجمهور وبحياة الأدب وحقوقه وأنظمة دور النشر الخ.. الخ..

في ظل هذا الواقع الذي تعيشه الحركة الأدبية العربية وفي ظل هذا الانقطاع الكبير في العلاقة بين الكتاب والجمهور فان الادب لم يتمكن الى حد كبير من أداء دوره في حياة الأمة، وبقي بالتالي على هامش الحركة الجماهيرية محصورا في دائرة اهتمامات عدد محدود من المثقفين.

ان حصيلة الواقع الاعلامي والأدبي في بلادنا تدعو للرثاء والسخرية فالأدب الذي يجدي ويغير ويفيد ويمكن أن يسهم في اضافة عناصر وعي جديدة ومتقدمة في حياة الأمة لا يصل الا بأضيق الحدود. والاعلام العربي الواسع الانتشار والقادر على الوصول الى أبعد قرية في الوطن العربي لا يفعل أكثر من تشويه وعي المواطن وتخريبه بكل ما هو سلبي وهابط.

فهل يكون غربيا والحال كذلك أن تكون صورة الوطن العربي على هذه الشاكلة البائسة القائمة الآن، وأن تكون حركة الثورة والجماهير العربية على هذه الدرجة من التراجع والانحصار، وأن يكون المواطن العربي على هذا المستوى من الأمية والاستلاب.

ثم أليس هذا الواقع كله هو الافراز الطبيعي للبنية الفوقية السائدة في الدساتير والأنظمة والحقوق والتعليم والسياسات والأيديولوجيات الخ.. الخ..

وهل يستطيع الأدب أن يؤدي دوره في ظل مثل هذا الواقع؟ وهل يستطيع الاعلام كذلك أن يلعب دوره في التنوير والتثقيف ونشر الوعي والمعرفة ما دام أسيرا للشروط القائمة؟

ان ثورة الأدب والاعلام لا بد أن تكون جزءا من ثورة شاملة في جميع مرافق حياتنا، وهذه الثورة هي في جوهرها ثورة وطنية وطبقية في آن واحد، وعنوانها الأساسي الذي يجب أن يتقدم على كافة الشعارات والعناوين هو الديمقراطية.

واذا ما تمكنا من انتزاع قليل من الديمقراطية فسنكون قادرين على تحريك العالم، كما قال أرخيدس ذات يوم. وبدون ديمقراطية سنواصل انحدارنا المريع نحو القاع المثقوب، ومعنا المتنبي وخليل مطران ومحمود درويش وعلى أنغام الديسكو وأغاني ترافولتا والأناشيد الوطنية.

مؤلفات الدكتور سهيل ادريس

في طبعة جديدة

روايات

- **الحيّ اللاتيني** (الطبعة الثامنة)
- **الخندق الغميق** (الطبعة الرابعة)
- **أصابعنا التي تحترق** (الطبعة الخامسة)

قصص

- **أقاصيص أولى** (الطبعة الثانية)
- **أقاصيص ثانية** (الطبعة الثانية)

آفاق « الآداب »

- **في معترك القومية والحرية** (ط ٢)
- **مواقف وقضايا أدبية** (ط ٢)

مترجمات (صدرت أخيراً)

- **الطاعون** - لألبير كامو
- **الثلج يشتعل** - لريجيس دوبريه
- **من أكون في اعتقادكم** - لروجيه غارودي